هزرفن المحلق دائما

في أسـطنبول من عـام 1908 وقـف رجـل ذو بشـرة سـمراء، يرتدي زيّ الطيارين كان مسلمًا من أصـول صـومالية نشـأ في ظـل دولـة الخلافـة العثمانيـة، حيث لم تُقَس الرجـال بلـون بشـرتهم، بـل بقـدراتهم وإنجازاتهم.

إنه أحمد علي تشليكتن، الطيار العثماني الذي حلّـق في سـماء أسطنبول عـام 1908، مسـجّلًا اسـمه كـأول طيـار أسـود في تاريخ البشرية.

وبعد أن هبط بطائرته رحب بـه كارترايت وتومـاس دبلوماسـين من فرنسا لم يصدقوا ما يرونـه

وكـان يقـف بجـوارهم ضـابط عثمـاني برتبـة مقـدم ولكنـه لم يتحدث وأكتفي بالمشاهدة فهـو يـدرك دهشـة الأوربـيين من أن يكون أفـريقي أسـود طيـار في الدولـة العثمانيـة العظيمـة

وبالفعل هذا ما قاله كارترايت

- لا أصـدق أسـود يقـود طـائرة بهذه البراعة

ضحك أحمد تشليكتن ساخرا

- أعـرف في بلادكم الـتي تـدعي التحضر والانسانية والأخلاق يتم عـرض السـود في أقفـاص الحيوانـات ولايسـمح لهم بالجلوس على الكراسـي وليس الطائرات

- اعتــذر لــك عزيــزي أحمــد لم أقصد أي اهانة
- لاتوجد اهانة هذه أخلاقنا وهـذه أخلاقكم هــذه حضــارتنا وهــذه حضارتكم رحم الله هزرفن
- من هزرفن
- أول من طــــــار في ســــــماء أســــطنبول منــــذ قــــرنين من الزمــان وبفضــله أطــير اليــوم بطــائرة بمحــرك في ســماءها أيضـــا وغـــدا يطـــير مثلي الى الفضــاء اذا بقيت دولــة العــدل الدولة العثمانية

عاد أحمد تشليكتن الى طائرتــه للقيــام بجولــة جديــدة وهمس كارترايت الى توماس قائلا

- لااعتقـــد ان مثلـــه ســـيطير الى الفضاء
- صحيح دولتهم لن تسـتمر قريبـا سيتم تـدمير دولـة العـدل الـتي يتحدث عنها
- لهذا نحن هنـا يـا عزيـزي وليس لمشـاهدة أسـود يطـير بطـائرة بمحرك بهذه البراعة
- يجب أن نحطم حلم هـــــــزرفن وهذا لأسود

اســـــتمرا في حـــــديثهما بينمـــــا استمرت الطائرة العثمانية بقيادة أحمد في الطيران.

أسطنبول 1636

كعادتـــــه جلس أحمـــــد شـــــلبي أو هـزرفن كمـا يطلـق عليـه وتعـنى

صاحب العلوم الكثيرة مـع أطفـال ورشته العلميـة وأعمـارهم مـا بين الســـابعة الى 15 عامـــا ولكنهم جميعا يشتركون في نفس الـدرس والتجارب وأيضا المشاريع العلميـة التي ينفذونها تحت اشراف هزرفن والذي أمسك بورقة ثم قال

- ســأنفخ الان فــوق الورقــة في خط مستقيم ماذا سيحدث
- سترتفع الورقـة الى الأعلى لأن الهــواء الســريع الــذي أحدثتــه أضـــعف من الهـــواء العـــادي فـالهواء العـادي أسـفل الورقـة أصبح أقـوي فيـدفع الورقـة الى الاعلي
- وهــذه بالضــبط فكــرة عمــل طـائرك المحلـق جنـاح من من

الخشب وريش النسور ومع ضغط الهواء يرتفع الى الأعلي ولكن تبقى مشكلة التحكم في الاتجاه والهبوط الآمن

ضحك هزرفن وأكمل حديث طلابه

- ويسمونني أنا هزرفن واضح أنكم كلكم هزرفن

ثم تقدم من أصغرهم وهو يقول لي

- تعالى سنقوم بتجربة

كان هناك بالونين مثبتين بخيط في السقف وبينهما مسافة صغيرة ونفخ هزرفن بين البالونين فاصطدما وهنا ضحك

الطفل فرحا وقام بتكرار التجربة فأكمل طفل

- نفس الفكـــــرة نفخت أصـــــبح الهواء سـريعا بين البـالونين أي أضعف من الهواء العادي والذي دفـــع البـــالون من كـــل جـــانب ليصطدم
- الهـــواء الســـريع أضـــعف من الهواء العادي
- أيضا الهواء الساخن أضعف من الهواء العادي

أكمل هزرفن وهـو يقـود الطفـل الصغير الى التجربة التالية قائلا

- الان مع التجربة الثانية
كانت عبـارة عن بـالون بـه مـاء وتم وضـــع على دورق زجـــاجي

فاشعل هزرفن نار ووضعها داخل الدورق الزجاجي وطلب من الطفل وضع البالون فاندفع بقوة الى داخل الدورق فعلق طفل آخر

- الهواء العادي دفع البالون نحو الهواء الأضعف الساخن داخل الدورق
- كيف يمكن تحويل التجربة لسلاح حربي
- ولماذا تريد تحويلها لسلاح حربي
- سلطان مراد في معركة مع البولنديين لو تمكنا من وضع الجيش البولندي مكان البالون فيقوم الهواء تلقائيا بسحق جيوشهم

وهنا ضحك الجميع بينما يتابع هزرفن حديث الطلبة وأخيرا سألهم عن المشاريع التي طلبها منهم والتي عبارة عن طائر ورقي وبالفعل تجهز الجميع وخرجوا الى الشرفة وهم يتطلعون الى النهر البعيد وسألهم هزرفن

- هل هناك من صنع طائر يصل الى النهر

لم يرد أحد ولكن بدأوا في تجربة طيورهم الورقية والتي حلقت مبتعدة بارتفاعات مختلفة وطارت لمسافات مختلفة تابع هزرفن الطلاب في سعادة ثم صاح

- انتهى الــــدرس ولكن لاتتنســـوا الدرس الأهم إنما العلم الخشية يجب أن تتقوا الله فيما تتعلموه حتى يكـون خـيرا ونفعـا للنـاس ولكم في الــدنيا والآخــرة والآن اشربوا العصير وانتظروا عـرض الطيران بعد أقل من ساعة

هنا دخل محمد مساعد هـزرفن وبصــحبته شــخص يــدعى اوليــا جلبي وتقـدم منـه وقـد بـدا عليـه القلق وتأكد من رغبته في تجربـة الطــيران وتعجب هــزرفن فهــذه ليست المــرة الأولى ولكن هــذه المرة سيحضــر الطلاب العــرض ويشــاهدون الاطلاق من مســافة قريبــة وطمــأن هــزرفن صــديقه

ومساعده وساله عن صاحبه وهنا تحدث أيضا أوليا

- أسـمي أوليـا جلـبي أنـا رحالـة وأكتب كتاب بعنوان سـياحتنامه (كتـاب الـرحلات) وقـد سـجلت فيه محاولاتـك التسـعة الناجحـة للطـيران في ميـدان الخيـول بإسـطنبول في عـام 1045 هـ/ 1636م. ثم الطـيران من فـوق برج غلطة إلى منطقـة أسـكدار في مدينـة إسـطنبول حـتى أسـكدار في الجـانب الآسـيوي من مدينـة إسـطنبول في «دوغانجيلار».

ضحك هزرفن وهـو يسـتمع الى أوليـا جلـبي وشـكره بشـده لتسجيله كل هذا التاريخ العلمي

له ودعاه ليشهد تجربـة طـيران جديـــدة من مســـافة قريبـــة وبالفعـــل بـــدأت التجهـــيزات للاطلاق مـع فريـق عمـل حيث تم ربط الطـائر في جهـاز مثـل المدفع أو النبلة الكبيرة لاطلاقه في الهــواء مســافة كافيــة ثم تكمل الأجنحة المهمـة وبالفعـل تمت عملية الاطلاق بشكل جيد وظل القلق رفيق محمد وأوليـا والطلاب حـتى اسـتدار هـزرفن بطائره وحلق فوقهم وهو يشير بيديــه وعنــدها صــفق الجميــع وصاحوا صيحات الفرح.

في سماء مولدافيا

وقف ستانيسواف قائــد الجيش البولنـــدي يـــراقب أصــــحاب

العمائم البيضاء كما يسميهم الجنود الانكشارية وهم يتراصون صفوفا في السهل الفسيح ثم التفت الى مساعده متسائلا

هل السلطان مراد بهذا الغباء ليقف في السهل الفسيح بهذه القوة سيكون من السهل محاصرته بفرساننا المدرعة ورماحنا الحديدية وماذا سيفعل هؤلاء المساكين أمام سيوفنا الشئ الوحيد الذكي الذي فعلوه وقوفهم عكس الشمس ولكنها دقائق ويخسروا تلك الميزة

سخر ستانيسواف من كلام مساعده وأكمل

حتى الشمس نفسها لن تنقذهم منا اليوم سنضرب الميمنة والميسرة في وقت واحد وساقود أنا الهجوم من الوسط فنسحقهم ولكن لاتقتلوا مراد أريده أسيرا سأعود به مربوطا في حصاني

وعلى الجانب الآخر كان السلطان مراد يتقدم الصفوف في المقدمة وهو يقول لمساعده

التوقيت مفتاح النصر في معركة اليوم إن شاء الله بعد انتهاء التكبير نتقدم بهجوم ساحق

كان حوار ستانيسواف مع فرسانه ضاحكا وواثقا من نصر

مؤكــد حــتى أنهم ســخروا من تكبـــيرات جيش المســـلمين وصاح احد الفرسان – حتى الله لن ينقـــذكم من المـــوت على أرض مولدافيا اليوم ولكن فجأة صاح أحد الجنود

- الطيور

انتبه الجميع الى السماء وأخذوا يتــبينوا تلــك الطيــور الغريبــة المحلقة والتي لم تكن تشبه أي طيور رأوهـا من قبـل ولكن مـا أن أقتربت منهم حتى أكتشــفوا أنهم رجـــال في زي الطيـــور وبـــدأوا يلقـــون عبـــوات على الجيش والفرســـــان والـــــتي انفجــرت وأحــدثت دمــارا وقتلا وتوافق هـذا مـع هجـوم سـاحق

لجنود الانكشارية مع السلطان مراد والذي قتل ستانيسواف في المعركة.

إلى الجزائر

- النصر نصرك يا أحمد

التفت هزرفن ليجد السلطان مراد في ورشته فنهض واقفا ورد قائلا

- النصر من عند الله سيدي السلطان

طيورك رائعة ولكنها للاسف لاتصلح لكل المعارك لا تزال هناك مشاكل في التحكم والهبوط والزمن أيضا

- صحيح ولكن هناك أمور يتم إصلاحها مع الوقت

- هل يمكن أن نطير الى الفضــاء يوما ما
سيحدث عندما نستطيع اخـتراع شئ يطير بسرعة 11 كيلو مـتر في الثانية
يا الله
- الجميع كان يخشـي من معركـة مولـــدافيا والجيش البولنـــدي الضخم والفرسان المدرعة
- لم أكن أخشاهم أتعلم لماذا لماذا سلطاني
حديث الرسول صلى الله عليــه وسـلم ؟؟ لن يهزمنــا عــدو من الخـــارج ســيهزمنا العـــدو من الـداخل .. هـدفي الكبـير بغـداد وتحريرها من الصفويين

- صلى الله عليه وسلم عندما يجتمع العلم والإيمان مع قوة السلطان يسود العدل والرحمة وان شاء الله يشمل بغداد والعالم كله
- هناك أمر انا مضطر لفعله ولكني ساعطيك ما يكفيك من الذهب ومعيشة متميزة ولكن في الجزائر
- الجزائر يجب أن يتم نقلك الى هناك
- نقل أم نفي
- في كل الأحوال يجب أن يحدث ذلك ولكن لاتغضب مني أن تعرف احترامي للعلم والعلماء
- عندما يعلو العلم يعلو السلطان إن شاء الله

- استعد للسـفر وخـذ مـا يلزمـك وكمـــا قلت لـــك ســـاوفر لـــك معيشة متميزة

وفي الجزائر عمـل هـزرفن في التدريس ولكنه لم يقم بتجـارب مشـــهورة عن الطـــيران حـــتى توفــاه اللــه ولكن بقيت قصــته يحكيهـــا المدرســـين للاطفـــال ولطلاب العلم فهـــذا مـــدرس يحدث طلابه عنه ويقول:

سأحكي لكم قصة عـالم اسـمه أحمد جلبي ولقبـوه بهـزرفن أي صاحب صاحب العلـوم الكثـيرة أو صاحب الألـف فن عـاش في القــــرن 11 الهجــــري ال17 الميلادي في عهـــد الســـلطان مراد الرابـع تقريبـا سـنة 1630

ميلاديا وقـام بمحـاولات ناجحـة للطيران بطائرة شراعية صنعها من الخشـــب وريش النســـور وربما مـواد أخـرى ولمسـافة 3 كيلـو مـتر وذلـك قبـل العـالم الألماني أوتو ليلينثال في القرن التاسع عشر الميلادي

تمت